

المحاضرة الخامسة

اندلاع الثورة المقراني ونتائجها

من خلال ما سبق يتضح لنا أن استياء الشعب الجزائري كان عاما، وأن المقراني كان مدفوعا منذ بداية عام ١٨٧١ لإعلان ثورة عارمة ضد الاحتلال الفرنسي، فبمجرد إعلان الحكم المدني قدم المقراني استقالته من منصبه، وقد رفضت السلطات الفرنسية استقالته ولكنه باشر اتصالاته مع زعماء القبائل واستعد لإعلان ثورته وهياً الناس لاحتضانها، وفي ٨ مارس جدد استقالته، وقضى الأيام ما بين ١٠ و ١٥ مارس في الاجتماعات التحضيرية وربط الاتصالات، وكان منها اجتماع يوم ١٤ مارس الذي تقرر فيه إعلان الثورة يوم ١٦ مارس. وأول هدف حدده المقراني هو الزحف على مدينة برج بوعريريج وفرض الحصار عليها، في حين وجه أخوه بومزراق الى ونوغة لقيادة الثورة هناك.

لم يتمكن المقراني بقواته التي ناهزت الستة آلاف فارسا من دخول المدينة، خاصة بعد أن وصلتها النجندات من حاكم سطيف وقائد عين تاغروت محمد بن عبد السلام المقراني، وتراجع المقراني إلى جبل مريضان وكاتب العديد من الشخصيات يدعوها للجهاد ومقاومة النظام المدني ولقي في ذلك استجابة متواضعة، كما أن مبعوثيه الى مناطق شرق البلاد ووسطها قاموا بدعاية قوية لصالح الثورة. وفي يوم ٨ أبريل تمكن من كسب موقف الشيخ الحداد للانضمام للثورة، وهو نفس اليوم الذي زحف فيه الجنرال "سوشي" على

مدينة مجانة التي أخلاها المقراني، وقد خاض الثوار معركة كبيرة قرب جبل تافرطاست، ودخل المقراني في مفاوضات مع أبناء عمومته المعارضين له، وتمكن من الاتفاق معهم على توحيد الصفوف وإنجاح الثورة. وقد شن هؤلاء هجومات ناجحة على الفرنسيين في رأس الواد والعلمة وسطيف، وأمام تزايد الاضطراب انسحب الجنرال "سوشي" من مجانة، واتجه الى سطيف لحمايتها من تهديدات الثوار.

. دعم الإخوان الرحمانيين للثورة:

كان للإخوان الرحمانيين دور بارز في ثورة ١٨٧١، فقد عد انضمام الشيخ الحداد انتصارا قويا لثورة المقراني، حيث تمكنت زاوية صدوق وفروعها ومقدميها في شرق الجزائر وغربها من تجنيد ما يناهز ١٢٠ ألف مجاهد في حين لم يكن مع المقراني سوى ٢٥ ألف، وشكل الرحمانيون جبهة قوية في هذه المقاومة.

ولأن الشيخ محمد امزيان الحداد كان طاعنا في السن تولى ابنه سي عزيز وسي محمد مهمة قيادة الجيوش، وخاض سي عزيز معارك طاحنة ضد الفرنسيين في جبال البابور ومنطقة القبائل الصغرى، وخلق مصاعب كبيرة للفرنسيين بإقليم قسنطينة، وتولى سي محمد مهمة قيادة المعارك في الضفة الغربية لوادي الصومام، وواصل محاصرته لمدينة بجاية ومحاربة أتباع ابن علي الشريف، وفي مناطق عديدة من شرق البلاد ووسطها خاض الإخوة

الرحمانيون مواجهات محتدمة مع القوات الفرنسية (الميلية، تلاغمة، تيزي وزو، دلس، المتيجة، الاوراس...الخ)، ومثلما كان انضمام الرحمانيين سريعا في الثورة جاء تراجعهم سريعا كذلك، فقد استسلم سي عزيز في جبال جرجرة يوم ٣٠ جوان ١٨٧١، وغرر بأخيه سي محمد وسلم الى حاكم بجاية، وقبض على الشيخ امزيان يوم ١٣ جويلية، وبذلك ضعفت شوكة المقاومة واستسلمت بعض القبائل الثائرة.

. معارك المقرانيين في الجبهة الغربية:

في نهاية أبريل ١٨٧١ اطمئن المقراني على سير الثورة بالمنطقة الشرقية حيث كان أبناء عمومته والإخوان الرحمانيين يخوضون المعارك بالبابور وسطيف، وقرر الاتجاه الى البويرة حيث يربط أخوه بومرزاق، وفي يوم ٢٨ أبريل خاض معركة قرب بن داود، وبعد أن أعد العدة وجمع الأنصار خطط لمحاصرة مدينة البويرة مركز قيادة الأغا بوزيد، وذلك في يوم فاتح ماي، وحدثت مواجهة عنيفة طالت أياما، واضطر المقراني الى فك الحصار عنها بعد أن علم بمقدم قوات الجنرال " سيريز " من العاصمة لنجدتها، ويبدو أن المقراني الذي لم يكن يعرف جيدا المنطقة أحس بخيبة الأمل وبتململ صفوف أنصاره، وفي يوم ٥ ماي خاض المقراني معركة مفاجئة ضد قوات "تروملي" حاكم سور الغزلان في منطقة ذراع بلخروب، وقد احتدمت المعركة طوال صبيحة ذلك اليوم، وكان جنود الزواف يترصدون المقراني

ببنادقهم، وعندما قام لأداء صلاة الظهر أصابوه برصاصات قاتلة، فحمل الثوار جثته وعادوا

بها الى قلعة بني عباس ودفنوه بمسقط رأسه، وكتبوا خبر وفاته حتى لا يؤثر ذلك على

معنويات الثوار.

لقد كان مقتل المقراني خسارة كبرى للثوار، ولكن المقاومة استمرت بقيادة أخوه، فقد

واصل بومزراق حركيته النشطة في متابعة سير الثورة وتنقل بين مختلف المناطق، فشارك مع

سي عزيز في شن الهجمات وخوض المعارك بمناطق البابور، واستقر فترة بقلعة بني عباس،

وقاد المجاهدين في جبهات الثورة بونوغة والحضنة، وأظهر بذلك حيوية ونشاطا كبيرين، وفي

الوقت ذاته واجه بومزراق صعابا عديدة وانتكاسات خطيرة، ومنها تنكر الحلفاء والأنصار

وتعاونهم مع المستعمر واستسلام أسرة الشيخ الحداد... الخ.

وخاض بومزراق إثر استسلام أسرة الحداد عدة اشتباكات ضد قوات الجنرال

"سوسي" وأعوانه القومية، وبعد معارك تاخرائط ووادي الصومام وجبال بوندة والقلعة

انسحب بومزراق الى الحضنة، وعاد بعدها الى ونوغة ليجمع الشمل من جديد، وخاض

معركة سيدي ابراهيم بوبكر يوم ٢٥ اوت ١٨٧١، وعاد من جديد الى البيان. وإثر

أحداث أغيل علي وبني عباس اتجه الى الحضنة، حيث كان له نشاط حثيث رفقة السعيد

بن بوداود وابن بوزيان وعدد آخر من المقرانيين والونوغيين، وقد فشلوا في دخول مدينتي

بوسعادة والمسيلة، وخاضوا معارك غير ناجحة ضد القوات الفرنسية، وكان بومزراق يحثهم

باستمرار على الوحدة ومواصلة الجهاد ويرفع من معنوياتهم، وقد نجح في الإفلات من قبضة القوات الاستعمارية المحاصرة للشوار.

وفي أكتوبر ١٨٧١ فرضت القوات الفرنسية حصارا شديدا على الشوار، وقرر بومزراق الاتجاه صوب الصحراء والدخول الى تونس عبر تقرت وسوف، واتصل بابن ناصر بن شهرة ليدخله الى تونس، وفي الطريق تاه بومزراق وابن عمه عن القافلة، وعثر عليه يوم ٢٠ جانفي ١٨٧٢ بالرويسات في حالة إغماء، وباعتقاله اطمأنت السلطات الفرنسية على انتهاء ثورة المقرانيين التي كان عامها حافلا بالاضطرابات والمعارك على جبهات واسعة من وسط وشرق أنه وقعت ما يزيد عن ٣٤٠ معركة كبيرة في Rin الجزائر، ويذكر المؤرخ الفرنسي "رين" هذه الثورة.